(المحاضرة الرابعة)

البرجنديون :

والبرجنديون من الجرمان الشرقيين الذين نفذوا إلى اقليم سيليزيا قرابة ١٥٠م،ثم دخلوا وادي المين بعد ذلك بقرن من الزمان ثم شقوا طريقهم إلى نهر الراين فبلغوه في نهاية القرن الرابع الميلادي. وقد سمح لهم الرومان بامتلاك الاراضي الواقعة على جانبي نهر الراين بقصد حماية الحدود من غارات الالمان،واتخذوا من مدينة ورمز عاصمه لهم. وقد استخدمتهم الإمبراطورية في ادارتها المدنية للعمل كموظفين شأنهم في ذلك شأن العناصر الجرمانية الاخرى .ومن الملاحظ ان البرجنديين كانوا قد اعتنقوا المسيحية على المذهب الاريوسي في بداية عهدهم المسيحية مما سبب الكثير من المعاناة للكنيسة الاثناسووسيه في اوربا، كما انهم كانوا قوما مسالمين بطبيعتهم، ولكنه تحت ضغط هجمات الهون اضطروا لاستخدام العنف في شق طريقهم حتى سمح لهم القائد الروماني ايتيوس بالإقامة في الجزء الشرقي من فرنسا في عهد زعيمهم جنديكار عام٤١٣م. وقد استغلوا فرصة اشتراكهم مع الرومان والقوط- الغربين في صد الهون والانتصار عليهم في موقعة شالون عام٤٥١م ليتوسعوا سلميا في المنطقة الواقعة بين الالب والرون وهي المنطقة التي عرفت باسمهم وعن علاقة البرجنديين بالإمبراطورية الشرقيه،قييدو- ان العلاقات بينهما كانت طيبه وتميزت بولاء الملوك البرجنديين للأباطرة الشرقيين الذين اضفوا عليهم القاب التشريف ،وهي الألقاب التي اعتبرها البرجنديون انها اضافت اليهم العظمة والمجد. أما فيما يتعلق بعلاقة البرجنديين بالفرنجة فلم تكن علاقة سلميه خاصه في عهد كلوفس كانت برجنديه .ولم تستمر مملكة البرجنديين طويلا فقد انتهى أجلها في الربع الاول من القرن السادس م لا نها لم تكن مملكة قويه ولك تستطع الصمود امام احداث العصر واخطاره

الوندال:

الوندال من الشعوب الجرمانية الشرقية شأنها في ذلك شأن البرجنديين، وقد غادروا ساحل بحر البلطيق في وقت سابق لتحرك القوط. ومع حلول القرن الاول الميلادي تجدهم وقد نزلوا في سيلزيا ويوهيميا، وعلى اثر الاضطرابات التي أثارتها حرب الماركوماتي (بوهيميا)حوالي١٦٦م،وتعرضت هذه الاقوام للتفرق والتشتت ،فتحرك الى هنغاريا شعب الوندال الاسدنجيين الذي اشتق اسمه على ما يبدوا من اسم البيت المالك فيه، أما الوندال السلينجيون فقد بقوا في سيليزيا الذي يبدوا ان اسمها جاء تحريفا للاسم سيلينجيا .وبعد مايقرب من مائة عام هاجر عدد منهم الى الحوض الاوسط لنهر المين ،واصاب الوندال الاسدنجيين

الزمان بسبب صراعهم مع القوط، وفي نهاية القرن الرابع الميلادي ادركوا أن الأرض التي يعيشون عليها عند نهر (تيس Theiss(لا تفي باحتياجاتهم ،لذلك غادرها عدد كبير منهم تحت قيادة ملكهم (جوديجسيل Godigisel(وانضموا ألي الالان الذين مروا من امام الهون وعبروا نهر الدانوب الأعلى حيث توقفوا هناك . وطلوا خمسة سنوات داخل الامبراطورية بوصفهم معاهدين . وحدث في عام (406م)أن تغيرت الأوضاع حين اضطراب الامبراطورية لسحب قواتها من حدود نهر الراين لتواجه خطر القوط الغربيين ،وكان في ذلك فرصة للوندال الاسدتجيين والألان الذين عبروا الراين، وازدادوا عددا بفضل ما انضم اليهم من السويفي والوندال السيلينجيين في اواخر العام نفسه (406م .(وعاشت جموعهم المتناثرة من الفرسان في الجانب الاكبر من فرنسا فسادا وتدميرا طوال السنتين التاليتين دون ان تواجه اية مقاومة منظمة ، باستثناء مدينة« تولوز Toulouse«التي قاومت هجماتهم بفضل اسقف المدينة الذي استبسل في الدفاع عنها .ولكن هذا التخريب ما لبث ان توقف عندما عبر الوندال وحلفاؤهم جبال (البرانس)ونزلوا

بإسبانيا حيث عاثوا في الارض فسادا لمدة سنتين آخرتين . ولم يتوقف هذا الفساد إلا عندما تدخلت روما وعقدت في عام (410) تسويه مؤقتة ،نزل بموجبها الوندال الاسدنجيون والسويفي في (جاليسياGalicia(والوندال السيلينجيون في (اندلوسيا Andalusia(،على حين استقرا لألان في البرتقال وشمال شرق اسبانيا ،ورغم ذلك فإن روما لم تنس سياستها القديمة وهي سياسة (فرق تسد)وعهدت إلى واليا ملك القوط في عام (416م) بمهاجمة الوندال في اسبانيا ،وكانت تهدف وراء ذلك أن يهلك الطرفين .وقد نجح واليا في مهمته نجاحا باهرا وسحق الوندال السيلينجيين سحقا .واضطرت بقايا الآلان ان تندمج في الوندال الاسدنجيين .ولما احست روما بأن القوط الغربيين اصبحوا قوة اكثر مما ينبغي استدعتهم من اسبانيا ومنحتهم الاراضي في اكويتين .وفي الوقت نفسه لجأت روما الى السويفي لضرب الوندال والآلان ، ونجحت عناصر السويفي في مهمتها ودفعوا بالوندال والآلان الى جنوب اسبانيا حيث اعادوا جمع شملهم مرة اخرى وصدوا جنود الرومان ،كما نجحوا ايضا في اسقاط المدن الساحلية الحصينة بفضل ضرباتهم القوية التي انهالت على المدن من البر والبحر حتى سقطت (اشبيليه) وقرطاجة ونهبوها .وفي عام (428 م)اصبح جيسريك ملكا على. الوندال ،ويعتبر جيسريك (477--428 م)من اعظم شخصيات عصره ،فقد كان سياسيا بارعا فاق كل البرابرة عدا «ثيودريك وكلوفس »،فضلا عن كونه محاربا شجاعا لا يجد الخوف الى قلبه سبيلا ،فهو الذي ادار دفة غزو إفريقية . فقد كان الساحل الافريقي غير مستقر الاحوال حيث كانت الثورة قائمه بين سكانه البربر ،يضاف الى هذه الثورة ما اضافة المذهب اليوناني المسيحي من انشقاق ،هذا في الوقت الذي لم يكن لدى القائد الروماني بونيفاس القوات الكافية لصد أي غزو عليه .أما عن اسباب غزو الوندال للساحل الافريقي فيرى البعض ان القائد الروماني بونيفاس استدعى

الوندال بعد ما استبدت به الغيرة من ايتيوس وهو قائد روماني ايضا قربته الامبراطورة جالا بلاسديا إليها ،ولكن بونيفاس ندم على استدعاء الوندال وحاربهم . وعلى اية حال قاد (جيسيريك) في عام«429 م»الوندال وكان عددهم حوالي ثمانين الفا وعبر مضيق عمودي هرقل(جبل طارق)ونزلوابالساحل الشمالي الأفريقي وتحالفوا مع قبائل البربر وهزموا القائد الروماني بونيفاس في معركة ضاربة وحاصروه في مدينة (هيبو)الساحلية أربعة عشر شهرا ،ورفض الغدير أوغسطين الذي كان اسقفا لتلك المدينة ان يغادرها والهب شجاعة سكانها ،وانقذته وفاته في عام (430 م)من يكون شاهد عيان لهزيمة جديدة تلحق بالقائد الروماني بونيفاس .واخيرا سقطت مدينة هيبو واضطر الرومان إلى التخلي عن الساحل الافريقي عام (431 م) .وبعد أربع سنوات

اعترف الامبراطور(فالتين)بموجب المعاهدة بقيام مملكة الوندال .وكانت هذه الدولة الثالثة التي يؤسسها البرابرة ولم يقدر لها ان تعمر طويلا. وعلى اية حال فقد كان لمؤسسها بعض الأفكار الجيدة وظهرت عبقريته في الإفادة من مميزات وضعة الجديد ،فاستولى على قرطاج. في عام (439 م)،وحاول بعث القوة البحرية التي كانت هذه المدن قاعدتها .وبنى الوندال السفن وشيدوا قوة بحرية واستولوا على جزر كورسيكا وسردينيا وجزر البلبار ،وأخذوا يغيرون على سواحل تسكانيا وبحر ايجة ،وبعبارة اخرى اخذ جيسيريك يتحدى القسطنطينية كما فعل مع روما وأصبح سيد البحر المتوسط . ونتيجة الغزو الوندالي للساحل الافريقي فقدت الإمبراطورية الرومانية جزءا هاما من اراضيها كان يمدها بالغلال فضلا عن ضياع الجزية .والمهم ان دولة الوندال قد نمت وزادت قوتها خاصة بعد بناء البحرية الوندالية. ولكن الوندال عاشوا اغرابا في هذه المنطقة لاعتناقهم المذهب الاريوسي المخالف لمذهب اهل المنطقة الذين دانوا بالمذهب الاثناسيوسي الذي دانة به

روما والمذهب الدوناتي الذي دان به جانب من سكان الشمال الافريقي .وجاءت الفرصة للوندال لضرب روما عام (455 م)وترجع هذه الاحداث الى مصرع الامبراطور(فالتنيان الثالث)على يد احد اعضاء مجلس الشيوخ ويدعى (بترونيوس)الذي اجبر الامبراطورة الأرملة »يودو كسيا»على الزواج منه فسرعان ما طلبت يودوكسيا مساعدة الوندال، فتحرك الوندال عبر البحر لمساعدتها وحاصروا روما، ولم تنجح محاولات البابا ليو الأول (440-461م) في انقاذ المدينة وأبيحت روما. للنهب لمدة اربعة عشر يوما بطريقة بربرية اصبح معها اسم الوندالية يطلق على كل تخريب يتم فيه التدمير لاشباع رغبة التدمير فقط .وفقد حكم جيسريك البحر المتوسط بعد ذلك عشرين عاما متحديا الامبراطوريتين ومات في عام «477 م » وماتت معه عظمة شعبه ،لأن مملكة الوندال قد مزقتها الخلافات الدينية وثورات البربر واخيرا سقطت على يد القائد البيزنطي (ملزاريوس)في عهد الامبراطور «جستيك الاول »عام 534 م.

قبائل الهون

كان من سياسة «جيسيريك »ملك الوندال تحريض شعوب البرابرة للانقضاض من كل جانب على الإمبراطورية التي كان القائد الروماني «أيتيوس »يحاول ان يستعيد فيها بعض السلطة والنظام . وكان من الذين لبوا هذه الدعوة في هذه المرحلة قبائل الهون تدفعهم بعض العوامل الاخرى .والهون من القبائل البربرية الذين فاقوا في الارهاب وبث الرعب جميع العناصر التي تعاملت مع الإمبراطورية واثارت الخوف والاضطراب في المناطق التي مرت بها .وأثناء تحركات الهون توقفوا في وسط اوربا زهاء نصف قرن من الزمان واضعين تحت نيرهم القوط الشرقيين والجبيدي وقبائل «الماركوماني »وسلاف الجنوب .وكان يحكمهم «أتيلا »ابن «موندزوك »وكان الرمز الديني للهون خنجر مغروس في الارض .وتقول الاسطورة ان احد الرعاة عثر على خنجر كثير الصدأ في حقل كانت ترعى فيه

ماشيته فحمله الى أتيلا الذي اعتقده انه خنجر اله الحرب ،وان العثور على هذا الخنجر بهذه الصورة يشير بان أتيلا سوف يغزو العالم .وتضيف الاسطورة انه منذ ذلك الوقت رغب اتيلا (433-453 م)ان يحكم الهون بمفرده فأمر بقتل شقيقه «بلدا» وقد بدأ اتيلا في اعين شعبه الها مقدسا وسمى نفسه «سوط الاله »مضيفا الى ذلك ان الحشائش لا تنمو في الارض التي تطؤها فرسه ،ولعل ذلك يشير الى كثرة الدمار والخراب الذي تحدثه تحركات قواته .وعلى أية حال فقد بدأت تحركات الهون ضد الإمبراطورية عندما قام أتيلا بهجوم مضلل ضد الجانب الشرقي من الإمبراطورية لجبر الامبراطور (ثيو دوسيوس الثاني)على سحب قواته التي ارسلها لمحاربة جيسريك الوندالي الذي حرضه على مثل هذا العمل. وعبر أتيلا الدانوب بالقرب من «مارجوس »ودمر العديد من المدن ذكر البعض أنها سبعون مدينه ،ولم يجبر الامبراطور على سحب قواته من الجبهة الوندالية فحسب ،بل على زيادة قيمة الجزية التي تدفعها الإمبراطورية للهون وان تتخلى الإمبراطورية للهون عن الضفة اليمنى لنهر الدانوب . بعد هذه الاحداث لجأ الامبراطور الشرقي «ثيودوسيوس» إلى التآمر على اغتيال «اتيلا »واعتقد انه نجح في ضم وزيره «إدكون» الى جانبه. وعلم اتيلا بهذهالمؤامرة في الوقت الذي كان لديه بعض سفراء الرومان في قصره الخشبي في «بانونيا »،لكنه تصرف على عكس ما كان متوقع ،واكتفى بتوجيه اللوم للامبراطور على تآمره ضد سيده كعبد شئ.وعقب وفاة (ثيودوسيوس الثاني)عام 450 م ،وجد «اتيل»افي خلفه مارقيان (457-450 م)عدوا جسورا فقد اعلن ان لديه ذهبا لا صدقائه وسيفا لا عدائه .ولم يكن اتيلا بالرجل الذي توقفه كلمات التهديد ،ولما كانت القسطنطينية مدينة منيعة وحصينه قرر ان يوجه الضربة الى مكان اخر ،واتجة الى بلاد الغال على راس قواته التي قدرها البعض بحوالي ستمائة الف وعبر نهر الراين وسلب ونهب ثم عبر نهر الموزول والسين وسار الى مدينة« اورليانز»،ولاذ الناس بالفرار امامه في رعب وذعر لا يوصفان ،لان اتيلا لم يترك حيثما مر لبنة على اخرى او حجرا على حجر .ولم ينج من مدن هذه المنطقة سوى مدينة تروي بفضل مساعي اسقفها القديس «أنيا نوس »،الذي رفع الروح المعنوية للسكان . وعندما كان اتيلا

في اور ليانز شوهت سحابة ترابيه في الافق فضن الناس ان الله قد استجابة لدعواتهم وانها مساعدة الله، والحقيقة ان الذي اتى هو القائد الروماني«أيتيوس »الجرماني الاصل ومعه القوات الرومانية وحلفائه من القوط الغربين بقيادة« ثيو دريك» والسكسون والبرجنديون والفرنجة . تراجع اتيلا في البداية املا في ان يختار ميدانا للقتال اكثر ملائما لفرسانه وتوقفه بالقرب من شالون حيث دارت معركة عام (451 م)انتهت بهزيمة الهون ،هذه الهزيمة التي انقذت الغرب من سيطرة القبائل الهون .وكانت معركة رهيبة انتشر في ارضها جثث مائه وستين الف رجل على حد تقدير بعض المؤرخين .بعد هذه الهزيمة انسحب اتيلا وعاد الى معسكره الذي احاطه بسور من المركبات .ويقول «جورد انس) « عاش في القرن السادس الميلادي)القوطي ومؤرخ هذه المعركة ،ورأى المنتصرون وسط هذا المعسكر كومة هائلة مصنوعة من سروج الخيول ،وفوقها وقف اتيلا وتحته الهون والمشاعل في ايديهم مستعدون لإشعال النار فيها اذا اقتحم الاعداء حصونهم ،وهكذا فأن أسدا يتعقبه الصيادون حتى مدخل عريته يقف مرة اخرى ويخيفهم بزئيره ،ولم يجروا ايتيوس وحلفاؤه على التقدم .وعاد اتيلا وقواته الى المانيا في العام نفسه 451 م .وفي العام التالي« 452 م »وعوض اتيلا نفسه عن الهزيمة بغزو ايطاليا العليا فدمر وخرب «اكويليا»التي التجأ سكانها الى البرك المجاورة حيث انشأ ابناؤهم مدينة البندقية ،وتحولت« بادوا» الى رماد وخضعت له بعض المدن مثل فيرونا وبافيا وميلانو .وفي قصر ميلانو شاهد اتيلا صورة تمثل الامبراطور جالسا على العرش ورئيس الهون ساجدا امام قدميه ،فأمر الرسام ان يضع ملك الهون على العرش والامبراطور ساجدا تحت قدميه حتى تكون الصورة اقرب الى الحقيقة . وفي الوقت نفسه لم يكن لدى الايطاليين جنودا يدافعون عنهم فخاطر البابا ليو الاول بحياته في سبيل انقاذهم ،وذهب الى معسكر اتيلا مع مندوبي الامبراطور وسلم كل ما طلبه من الهدايا ووعد لدفع الجزية ،وعندما سمع اتيلا باقتراب(اتييوس) تراجع الى بلاده ،في الوقت الذي انتشر وباء الطاعون في جيشه فأفنى منه الكثير . وبعد بضعة اشهر مات اتيلا في قريته الملكية بالقرب من الدانوب عام (453م)والقت الشعوب التي اخضعها النير من نفسها ،ودخل

زعماء الهون في صراع دموي من أجل الحصول على التاج مما قلل من اعدادهم وتبددت قوتهم مثل تلك الاعاصير الهوجاء التي تزول ولا تترك ورائها سوى اثار الدمار والخراب.

نهاية الامبراطوريه الغربية:

بعد وفاة بترو تيوس عام (455 م)تولى عرش الامبراطوريه في روما افيتوس(455-456 م)بتدخل من القوط الغربيين ثم تدخلت عناصر السويقي وعينت ما جور يان خلفا له(457-461 م)،واخذ البرابرة يتصرفون في الإمبراطورية الغربية كما يشاءون لكنهم خجلو ا من تولي منصب الامبراطور .وبدا ماجوريان النبيل الخلق وسط هذا الفساد الذي يحط بالإمبراطورية داخليا وخارجيا ،ورأى ان يبدأ بضرب الوندال في الساحل الافريقي فجمع اسطولا لهذا الغرض ولكن هذه الاستعدادات لم تصل الى نهاتها فدمرت ،ولعل ذلك مرجعه الى تواطؤ بعض قواده مع الوندال .فعاد ماجوريان من اسبانيا الى ايطاليا كسير القلب ثم ما لبث ان اغتيل .تولى بعد ماجور يان ثلاثة أباطرة هم (سفر يوس 461-465 م)وانثيموس (467-472 م)واوليبريوس (472 م).ولكنهم كانوا ا اشباح اباطرة ،ونلاحظ ان العرش الروماني في روما ظل خاليا لبعض الوقت هذه المرحلة كما حكم جيلسر يوس لمدة عام 473 م وجوليوس نيبوس لمدة عام. ايضا 474 م ،واخيرا اعطى اورستس البانوني صولجان الامبراطور لولده رومولوس أوجستولوس وهو طفل لم يناهز السادسة من عمره وقد جمع في اسمه ما بين مؤسس روما ومؤسس الامبراطورية . واذا القينا نظرة عامة على الإمبراطورية الرومانية الغربية في هذه المرحلة نلاحظ أنة قد تم ضياع الكثير من أخزائها ، فقد تراجع الرومان من انجلترا وتغلب الوندال على الساحل الافريقي وسيطر القوط الغربيون على أجزإ من غرب اوروبا كما استقر البرجنديون في جانب من غالة . أما الالمان فقد اتخذوا من الراين الاعلى مستقرا لهم ، واتخذ الفرنجة من الراين الادنى موطنا . وأذنت كل هذه التطورات بنهاية الامبراطورية الغرب . والحقيقة أن مظاهر الانحلال تفاقمت تفاقما ملحوظا في هذه المرحلة وشمل الاضطراب كافة

أرجاء الإمبراطورية الغربية . وفي هذه الاثنإ ظهر أودواكر احد زعماء قبائل الهيرول الذي منحته الامبراطورية مستقرات في الاراضي الايطالية . ودخل اودواكر في عام 476 م العاصمة رافنا وعزل الامبراطور رومولوس ونفاه خارج ايطاليا . ويعزل امبراطور الغرب اصبح إمبراطور الشرق . الامبراطور البيزنطي . زينو 491.474 م الامبراطور الاوحد الممثل للسلطة الرومانية التقليدية .وقد اعترفت الجماعات الجرمانية التي نزلت في الغرب الاوروبي وأسست لنفسها دولا ومماليك بسلطان الامبراطور البيزنطي وان كان سلطة بأسمة . والمهم ان الغرب الاوروبي ظل منذ عام 476 م والكرسي الامبراطوري شاغرا حتى عام 800 م عندما نصب شارلمان امبراطورا على الغرب الأوروبي.